المستشرقون

وضررهم على الاسلام والشرق

بقلم الدكتور حسين الهراوى

اطلعت أخيراً على رد الأستاذ الدكتور مبارك فى عدد أغسطس على رأيى فى المستشرقين ، وكنت أود أن أكون عند ظنه فتكون كلمته ختامية فى الموضوع ، ولكنه سألنى أن أعد له عشرة أشخاص من أعلام الأدب العربى الذين تغنينا مباحثهم عن الذين يطلقون على أنفسهم نعت المستشرقين .

وسيرى الأستاذ فى ما يلى أسماء أعلام الأدب العربى والتاريخ فى مصر فى الوقت الحاضر ممن لا يطاولهم المستشرقون أنفسهم فى مجهوداتهم مع الفارق العظيم بين ظروف الباحث العربى والمستشرق ؛ فالباحث المصرى يستنزف ثروته ويقضى وقته فى البحث والنشر دون معين أو مساعد، ولا أظن نفس الأستاذ زكى مبارك مغتبطاً بنتيجة تجاربه فى نشر كتاب مثل « الأخلاق عند الغزالى » وغيره .

أما المستشرقون فيكفى أن يكتبوا بعض السب والشتم والمنطق المعكوس فى الاسلام ونبيه ، ويجدون من حكوماتهم مساعداً على النشر ، ومن المطبلين والمزمرين من يهرفون بما لا يعرفون حتى من نفس الشرقيين .

أتريد دليلا يا أستاذ ؟ قلب نفس العدد من « المعرفة » وانظر تجد اسم مرجليوث والاشادة بذكره والمستشرقين ، وهل يعلم القراء من هو مرجليوث ؟.. إنى لسعيد أن يجهلوه، ولكنى سأنقل لهم فقرة واحدة مما يهذى به ليعلموا أن فينا من يعرف الاسم ويجهل المسمى .

قال المدعو مرجليوث ـ فى الفصل التاسع والثمانين من تاريخ العالم صحيفة ٢٣٦٤ ـ عن نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانه ابن عبد الله ما يأتى : إننا نشك فيما إذا كنا نعرف شيئا عن والد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن لفظة عبد الله تطلق على الشخص المجهول ، وربما كان لها هذا المعنى عند إطلاقها على والد النبى صلى الله عليه وسلم .

إذن لى أن أعتب على نفس صاحب مجلة « المعرفة » ومحررها (١) أن يشيد بذكر رجل

---

(١) راجع تعليق المحرر على هذه العبارة فى آخر المقال .

هذا شأنه، وهذا ما أردت من كتاباتي المتعددة عن المستشرقين أن يفتح الشباب الشرقي عينه، فيرى الحقائق كما هي لا كما يصورها المستشرقون، الذين يريدون أن يستعبدوا عقولنا، وهم أجهل الناس بفهم اللغة العربية نفسها، وأن يتعمقوا في روحها، لأنهم لم يتعلموها إلا لحاجة في نفس يعقوب، ولذلك ترى مؤلفاتهم عن العرب والعربية باللغات الأوربية، وليس أعجب من رجل يتكلم عن العربية، ولا يكتب بها شيئاً.

فالمستشرقون دساسون وهم طلائع الاستعمار ومستعبدو العقول، فكم من مستشرق كان جاسوساً لإدخال البلاد العربية تحت نير الاستعمار، وكم لهم من تقارير في محاربة الدين الاسلامي واللغة العربية التي يزعمون خدمتها.

أتريدون مثلا أيها السادة؟ إليكم تقرير لجنة العمل المغربي في أوربا: وانظروا ماذا يقول (سيكارد): إن الاسلام في روحه الخاص قوة مخالفة لاحتياجاتنا ورغائبنا ونزعاتنا، وهذه القوة يمكن تسكينها، ولا يستطاع التغلب عليها إلى الأبد؛ فمن مصلحتنا أن نعمل ما في طاقتنا للتقليل منه بين الشعوب الخاضعة لسلطاننا.

ويقول مستشرق آخر: «إن مصالحنا تحتم علينا أن نجعل تطور المسلمين خارج حوزة الاسلام».

وقد عرض التقرير المذكور لأنواع الأساليب التي تدرس بها اللغة العربية لطلبة المستشرقين مما لا يتعدى مسخ حقيقتها والعبث بها وتحقيرها؛ وشاءت الصدف أن نجتمع بالأب أنستاس الكرملي، فعلمنا منه أنه يصحح كتب المستشرقين - ولم يرض أن يذكر لنا أسماءهم - وأنه يتناول عن كل صحيفة جنيهاً، فأعلنا ذلك في الحفلة التي أقيمت له، كما أعلنها «الصحاف العجوز» على صفحات «الأهرام»، ومن هذا يتضح لك أنهم مثل الطلبة الضعفاء الذين ينقدون صحافياً مبلغاً من المال ليكتب لهم موضوعاً لنشره في الجرائد؛ وهذا سر تلك الأغلاط التي تراها في كتاب مثل «دائرة المعارف البريطانية»؛ فمثلا في لفظة مصر تقول إن الصعيد معناها السعيد؛ أو The happy؛ ولو كتبها طالب في الشهادة الابتدائية لأخذ صفراً، وكذلك عند ترجمة أبي بكر يذكرون معناها أبو البنت البكر؛ ولو قالها طالب صغير لقال له أستاذه يا غبي! وسأنقل للقراء فقرة من كتاب (برينو) الذي يدرس للطلبة الفرنسيين باللغة العربية؛ قال:

«أتريد يا صاح أن تتعلم الكلام مع الأهالي الذين حولك، وأن تختبر المسلمين في زياراتك - مما تهمك معرفته؛ لا تظن أنني سأعلمك لغة القرآن، فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد؛ فهي لاتينية العرب، وهي اللغة التي أنزل الله بها كتاب المسلمين؛ وهي لغة الصلوات والاستغاثات والتمنيات أحيانا، وهي كذلك اللغة المستعملة في جنة محمد؛ وسأحبب إليك دراستها في المستقبل إذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين».

ومن هذه الأمثلة يتضح لك أن المستشرقين جهلاء متعصبون ، مهنتهم التبشير الاستعمارى ضد القومية العربية الشرقية ، والاسلام بصفة خاصة ، إلا فئة قصرت نفسها على التاريخ وأرادت أن تحترم نفسها ، وهى فئة قليلة يجب أن تتبينها بعد دراستها دراسة تامة ، حتى لاتجوز علينا تلك المغامز التى يملأون بها الدنيا فى تشويه سمعة الشرق والاسلام .

والذى يؤلمنا هو أن تجوز حيلهم وشعوذتهم علينا ، وأكبر ما يهمنا أن نرى مظاهر الثقة بهم دون بحث آرائهم .

وها أنا أعدد أعلام الأدب العربى الذين يعوضون علينا مباحث المستشرقين ، وهم مع حفظ الألقاب :

طه حسين ، محمد حسين هيكل ، محمد عبد الله عنان ، مصطفى عبد الرازق ، زكى مبارك ، محمد لطفى جمعة ، محمد الهراوى ، محمد فريد وجدى ، الشيخ السكندرى ، أحمد زكى باشا ، عبد الرحمن الرافعى ، أحمد أمين ، عبد الحميد العبادى ، منصور فهمى ، أحمد لطفى السيد ، أحمد حسن الزيات ، أنستاس الكرملى ، على الجارم ، الاستاذ العوامرى .

وكلمتى الختامية ، أن الأستاذ مبارك رجل شريف يعترف معى أن الشرق يجب أن لا ينسى منطقه عند قراءة المستشرقين ، هذه هى النقطة التى أرجوه أن يعمم نشرها ، وأن يذيعها لطلبته وفى مقالاته .

أما أنا شخصياً فأؤكد له أننى آخر من يهمه مباحث المستشرقين ، وإن كنت قد قتلت بعضها درساً ، وقد لاتتنى لمقارنة الأديان فصرفت فى ذلك وقتاً غير قليل ، وكونت لى رأياً عن المستشرقين من دراسة دامت وقتاً أكثر مما يظن الأستاذ ، فليس من السهل أن أتزع عن رأى كونته عن دراسة وخبرة فى مدى خمسة عشر عاماً ، ولم يمنعنى من نشر تلك المقارنات إلا أننى أريد أن أبعد كثيراً عن المباحث الدينية ، أما إذا أراد ناشر أن ينشرها فله أن يأخذها مكتوبة مبوبة غفلا عن ذكر اسمى . ؟

الدكتور حسين الهراوى